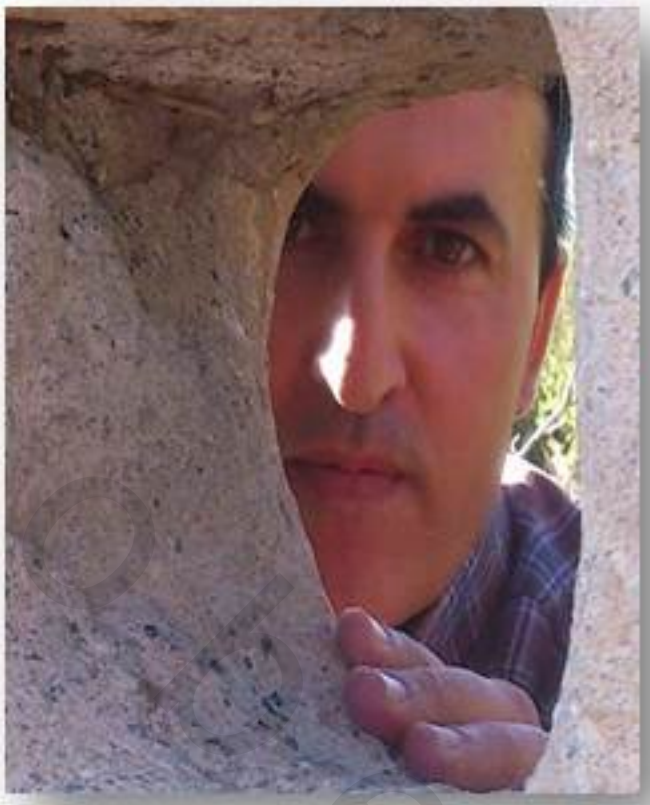

مقاربات تأويلية
لنماذج من(هايكو) محمود الرجبي

د. احمد جارالله ياسين

شاعر وناقد وفنان تشكيلي من العراق

تتناول هذه المقاربات نماذج من نصوص الهايكو للشاعر محمود الرجبي عبر قراءة تأويلية تحاول ممارسة نوع من الاستنطاق النقدي للنصوص بفهم تشكيلها اللغوي الرمزي والدلالي.

ومن ذلك نصه الذي يقول فيه :

مشهد للكبار فقط
الغصون عارية
الخريف عراها تماما

السطر الاول يجر المتلقي الى منطقة المحظور بالنسبة لمن يصنفهم دون الكبار ومن ثم يهيئ المتلقي من الصنف الاخر (الكبار) لاستقبال ما هو محظور لاسيما في موضوع الجنس ، ويدعم ذلك عبر الجملة الثانية (الغصون عارية) التي تتضمن علامة سيميائية ذات صلة بالجنس ونعني بها العلامة من الصفة : عارية .والتي تشغل المتلقي حسيا اكثر مما يشغله الموصوف (الغصون) لقوة الاستقطاب الحسي والجنسي في لفظة (عارية) وهنا تكمن لعبة الشعر في زج المتلقي وسط منطقة فاصلة بين حقل النبات (الغصون) وحقل (الجنس (عارية) وهذا الصراع بين توقعاته باتجاه النص نحو المنطقة الثانية بناء على ما تهيأ له في السطر الاول وبين بداية ما ينقض تلك التهيئة عبر لفظة (الغصون) في السطر الثاني ..ويحسم الصراع السطر الثالث الذي يجر النص الى منطقة الطبيعة فيفسر العري بفعل الخريف ...ومع ذلك يضمر النص بمكر شعري مغزاه الجنسي خلف هذه الصورة لفعل الخريف لان اصرار الخريف على تعرية الغصون تماما يجعل المتلقي شاكا بكونه خريفا ينتمي للطبيعة بقدر انتمائه لغويا لعالم الذكورة في مقابل انوثة الغصون.

وفي نص اخر يقول الرجبي : .

(حاجة)

شجرة النخيل حائرة
راسي في السماء
فكيف ياسرني التراب؟

لتفكيك لغز نخلة الرجبي نرى ان راس النخلة غالبا ما يكون العلامة السيميائية الابرز لوجودها المتشكل فوق جذع عال ومن ثم فان هذين (الراس والجذع) هما من منحاها تاريخا دسما من الدلالات الرمزية فهي رمز الشموخ والهيبة والسمو وكل معاني التفرد والتميز لاسيما في الذاكرة العربية والثقافة الشرقية حتى غدت النخلة الشجرة الوحيدة التي تبعد عن الارض بهذا الوضوح البصري وكأنها في حالة انطلاق نحو السماء ولا صلة لها بالأرض ..ومن هنا ينبثق تساؤلها المحتج : كيف ياسرها التراب وهي من تمتلك كل مواصفات الانطلاق والتحرر البصري بطولها الشامخ وسعفها المهيب الذي يعانق السماء ..ربمل لو موضعنا النص في اطار النقد الثقافي لوجدنا ان النخلة كثيرا ما كانت رمزا للذات العربية بكل ماتختزنه من موروث دال على كبريائها وشموخها وفخرها ...وهذه الامور مجتمعة اسست لها ثقافة تراثية لاسيما من الشعر الذي دفع بهذه الذات في قصائد المديح نحو افاق تتجاوز قدرات الانسان العادي الم نسمع قولهم (ملانا البر حتى ضاق عنا ...وماء البحر نملؤه سفينا) فهذا النص القير من الهايكو هو وريث لثقافة التفاخر التي يمكن ان يمثلها ذلك البيت والاف من الابيات مثله ..فلا نتعجب اذا ما وجدنا محمود الرجبي يعيد تشكيل هذه الثقافة من جديد عبر نص قصير ويضع النخلة بديلا عن الشخصية العربية المدججة بموروث الفخر ...حتى وصل الحد الى النخلة / الرمز للذات العربية .. ان تتساءل عن اسر التراب لها وهي من لا تنظر الا للسماء ..بل انها تتمرد حتى على الانتساب للتراب الذي يمدها بالحياة ..زاما اذا نظرنا اليها كرمز للذات فقط ..فان التمرد على التراب يبدو تمردا على الثبات وعلى الموت الكامن في التراب بوصفه الملاذ الاخير للإنسان بعد موته ...اذن النص يعيد ترسيخ الجانب المتفاخر من الذات العربية الحاضرة برمز النخلة ..هذه الذات العصية على الترويض / الاسر .. في فضاء ثابت / التراب.

النص الثالث للرجبي جاء تحت عنوان (الجمال) ويقول فيه :

على صخرة في البحر
طائر النورس تسحره الاسماك الجميلة
فيموت جوعا !

هنا يخرج النورس عن اداء دوره الحيواني والبايولوجي فيتوقف عن التفكير بما حوله انطلاقا من معدته الفارغة والباحثة عن الطعام ليتسامى ويرتقي الى دور اخر ..هو الدور الجمالي الذي يفكر بسحر الجمال من حوله المتمثل بمنظر الاسماك التي تسبح في البحر وثمرة تأمله فيها ستكون المتعة لكن الثمرة الاخرى ستكون الجوع فالموت لأنه عطل دوره الاول العادي الباحث عن الطعام ...ويمكننا القول ان النورس في دوره الجمالي خرج عن حدود حيوانيته ليكون رمزا لكل مخلوق لاسيما الانسان ممن يعيش حياة جمالية يبحث فيها عن متعة الجمال والتأمل فيه بغض النظر عن نتائج هذا التأمل ويبدو ان النص يريد ان يقول ان ثمن الجمال باهظ جدا قد يصل الى حد الموت.. والجميل في الصورة ان النورس نفسه تخلى عن منظره الجمالي الذي يحققه طيرانه واجنحته البيض ولجا الى الوقوف على صخرة في البحر لرصد جمال اخر متحرك تشكله الاسماك الجميلة في البحر.

الانموذج الرابع والاخير لهايكو الرجبي يبوح فيه بما يأتي :

كلما غادرت قبر امي
خصلة شعر تهجر جلدة راسي
يقتلها الحنين ليديها المباركتين

الام بوصفها علامة سيميائية مركزية في الحياة البشرية تغري الشعراء باستحضارها الى منطقة القصيدة واعادة قراءتها وفق رؤية جديدة ، وهذا ما فعله الشاعر محمود الرجبي الذي اختار من هذه العلامة جانب الغياب فيها بفعل الموت الذي اقصى الام الى قبر ، لا يصل الشاعر الى ذروة الارتباط به الا لحظة زيارته التي تفجر في اعماقه مشاعر الحنين الى هذه الام ، لذلك ما يبدو صامتا لحظة الوقوف بجانب القبر ، يبدا بالكلام شعرا لحظة المغادرة التي تبدو كأنها لحظة خيانة لهذه الام التي اودعها القدر في قبر من الرمال ومنح الشاعر فرصة الاستمرار في الحياة ..اية قسوة هذه !!
لا تجد لها صدى في قلب الشاعر الا بإجراء شعري اخر يعمد فيه الى اختيار خصلة شعر تؤدي طقس العتاب الذاتي الموجه من الشاعر الى روحه المعذبة بغياب الام ..خصلة بمثابة سوط نفسي يجلد الذات ليس بضربها بل بإثارة الحنين لديه ، ولعل الحنين الذي لا يجد له صدى عند الاخر الغائب هو عتاب قاس جدا ، يفوق وقع السوط على الجلد ...بل يصل الى حد (القتل / يقتلني الحنين) الذي يتوجه الى يدي الام المباركتين ..
فاليدان هما ارقى علامة على خلاصة ما تقدمه الام من الحنان والرعاية والحب ، تلك المشاعر التي تفيض من الام على ابنائها ، ولا يمكن نسيانها او تعويضها ابدا ..من هنا يتسامى الاحساس بغياب الام حتى يرتقي الى مصاف عتاب الذات باستذكار البركة التي تفيض من يد الام ، والغائبة عن الحضور الان بفعل الموت ...